تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

"إتفاقيّة مكّة": "ناتو إسلامي" أمام نيران الإقليم المشتعلة

"اتفاقية مكة للدفاع المشترك"، المعلنة في 7 آب 2026، تحمل الكثير من الدلالات والمعاني في لحظة اقليمية ودولية محفوفة بالمخاطر والتحولات. من بين مفارقاتها، انها على قدر ما تثيره من آمال وتوقعات، فانها تطرح ايضا تساؤلات عما اذا كانت السعودية وتركيا وباكستان، ستنجح فعلا في احتواء النيران أو ضبطها

ليس "تحالفا" عاديا هذا الذي اعلنه قادة السعودية وتركيا وباكستان، خصوصا انه ينص، بحسب ما نشرته وكالة الانباء السعودية، على اعتبار أي هجوم مسلح على احدى الدول الثلاث، هجوما على جميعها.

لهذا، سرعان ما اثيرت التساؤلات عن الاهداف التي يتوخاها موقعو "اتفاقية مكة"، ولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان، رئيس الوزراء الباكستاني شهباز شريف، والرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

في التوقيت، في الشكل، في طبيعة الدول الثلاث، في التصريحات المتفرقة التي خرجت هنا وهناك، في الاهداف المعلنة رسميا على الاقل. في التوجسات الإسرائيلية، في الترقب الإيراني، في حقيقة الموقف الأميركي، كل ذلك يعزز التساؤلات ولا يشفي غليل القراءات السياسية والمحللين والخبراء بالكامل.

مع ذلك، في الامكان الاستناد الى المشهد الاقليمي والدولي القائم حاليا، في محاولة فهم ما جرى في "اتفاقية مكة" التي جاءت بعد صلاة الجمعة في الحرم المكي الشريف، مع الاستناد ايضا الى ما اعلنه المسؤولون انفسهم عن تطلعاتهم ورؤاهم لمستقبل هذه العلاقة العسكرية الطابع، وما اذا كان فعليا "نواة ناتو جديد"، أو تحديدا "نواة ناتو اسلامي"؟

كما يجب الانتباه الى ان تعبير "الردع الجماعي" تردد على السنة العديد من المسؤولين والخبراء، طبعا الى جانب عبارات مثل مواجهة اي عمل عدواني ضد احدى دولهم، تعزيز السلام والامن والاستقرار في المنطقة وخارجها، وتطوير جوانب التعاون الدفاعي بين الرياض واسلام اباد وانقرة.

كان من الممكن ربما، ان تمر هذه العبارات مرور الكرام، لو ان المنطقة تعيش وضعا طبيعيا، لكنها ليست كذلك. صحيح انها لم تكن في حالة "طبيعية" قبل 7 تشرين الاول 2023، لكن ما جرى منذ ذلك الوقت، ادخل تبدلات وتغييرات كبرى في اوضاع المنطقة وفي اسس استقرارها: في "الابادة" التي جرت في غزة، في حربي تدمير لبنان، في سقوط النظام السوري، في قصف اسرائيل للعاصمة القطرية الدوحة، في شن ادارتي دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو حربين على ايران (حزيران 2025، ثم الحرب الجارية الآن بأشكال متعددة) واغتيال المرشد الايراني السيد علي خامنئي، وفشل نظرية "اسقاط النظام" حتى الان، وانفراط مشهد الاستقرار الخليجي وتعرضها لضربات وهجمات ايرانية، وانفجار ازمة مضيق هرمز، احد ابرز ممرات الطاقة العالمية.

في ظل الهواجس التي اثارتها الاتفاقية حول ما اذا كانت تمثل انتقالات اقليمية نحو مرحلة ثانية من الصراعات او الحروب، خرج اكثر من مسؤول للتأكيد على الطبيعة "الدفاعية" للاتفاقية، وان النقاش والمحادثات حولها تجري منذ اكثر من عامين، أي بمعنى انها ليست مرتبطة بتدهور العلاقات بين ضفتي الخليج، ما بين ايران من جهة، وبين دول مجلس التعاون الخليجي من الجهة الاخرى، وهو تدهور تجلى بوضوح منذ 28 شباط الماضي، مع بدء العدوان الأميركي - الاسرائيلي الثاني على طهران.

الا انه لا يمكن تخطي الكثير من الدلالات والمؤشرات. فالبلدان الثلاثة ليس لها حدود جغرافية مشتركة، وكل بلد له محيطه الجغرافي المختلف والمتنوع. لهذا، فان لكل بلد ازماته ومشكلاته الاقليمية الخاصة به، لكنها ايضا تتداخل في ما بينها حول ملفات اقليمية اساسية، سواء في ما يتعلق باسرائيل

81 عاماً
تصميم. إنجاز. مثابرة

أو ايران أو حرية الملاحة. كما ان كل بلد له ثقله السياسي أو الاقتصادي أو العسكري الخاص به. لكن الدول الثلاث ايضا، تعتبر من بين الاكثر نفوذا على الساحة الاسلامية. من المهم ايضا الاشارة الى أن الدول الثلاث تمتلك علاقات قوية مع الولايات المتحدة، حتى وان شابها في بعض الاحيان القليل من التوتر، علما ان اسلام اباد تلعب دورا مركزيا في جهود الوساطة لوقف الحرب الايرانية.

لهذا، يكتسب التلاقي الثلاثي العسكري - الامني هذا، اهمية اضافية في ظل لحظة انعدام اليقين الاقليمي القائم حاليا، خصوصا ان احدى دول هذا "التحالف"، هي دولة نووية، أي باكستان، لكن من دون ان يعني ذلك ان "السلاح النووي" خيار مطروح في سياسة هذا التحالف الاقليمي الناشئ.

لعل ابرز ما تقوله "اتفاقية مكة" انها قد تشكل بديلا مطمئنا، وتحديدا للسعودية وتركيا. فالرياض استشعرت بوضوح كيف ان "المظلة" العسكرية الامنية الاميركية لم توفر الحماية المأمولة للمملكة - وللخليج عموما - لا عندما سمحت لاسرائيل بقصف قطر في ايلول 2025، ولا عندما حمي وطيس المعركة الإيرانية - الاميركية، فهطلت صواريخ ومسيرات مفخخة على السعودية وعلى الدول الخليجية الاخرى، بينما كشف العديد من الخبراء والمسؤولين، ان القوات الاميركية كانت نقلت الكثير من اصولها العسكرية الدفاعية من الدول الخليجية الى اسرائيل لتعزيز حمايتها على حساب "الحلفاء العرب".

مع اتضاح فكرة أن أمن اسرائيل فوق أمن الجميع في المنطقة بحسب منطق اميركا وسياساتها، لهذا يقول محللون ان الرياض ربما تعتبر أن من حقها الطبيعي اللجوء الى خيار البحث عن تحالفات جديدة، سواء لتكون بديلة عما يربطها بدول اخرى، أو كاطار تعاون إضافي يعزز مكانتها وحمايتها، في ظل العواصف التي تضرب المنطقة برمتها.

ومما يزيد الطين بلة، أن جماعة انصار الله اليمنية، اعلنت في 20 تموز الماضي فرض حصار بحري وحظر على الملاحة البحرية السعودية في البحر الاحمر، وحاولت تعطيل الصادرات السعودية عبر ميناء ينبع، ردا على ما تقول الجماعة انه حصار سعودي قائم على اليمن، وتحديدا ضد مطار صنعاء.

لهذا، ليس من الممكن فصل قرار السعودية بالذهاب الى "اتفاقية مكة" عن قرارها قبل ذلك بأيام وتحديدا في 30 تموز، الاعلان عن تحالف بحري دفاعي متعدد الجنسيات، وبقيادتها، لحماية الممرات البحرية والتصدي للتهديدات البحرية، بمشاركة 14 دولة على الاقل.

في امكان "اتفاق مكة" ان يحقق الكثير للدول الثلاث رغم انه لم تتم مأسسته فعليا حتى الآن. ففي مقدور تركيا وباكستان ان تؤمنان خبراتهما في الصناعات العسكرية، في وقت تتوافر للمملكة رؤوس الاموال لتحقيق رؤيتها بتوطين الصناعات العسكرية في السعودية. كما تعتبر تركيا اكبر قوة قتالية في حلف الناتو الغربي، بعد الولايات المتحدة، بينما تتمتع باكستان بخبرات عسكرية كبيرة بالنظر الى تاريخ صراعاتها الطويلة مع جارتها الهند. فهناك بالفعل اتفاق تعاون عسكري بين اسلام اباد والرياض، نشرت بموجبه باكستان آلاف الجنود وطائرات مقاتلة وطائرات مسيّرة على اراضي المملكة، في حين تقوم السعودية في المقابل، بضخ اموال في ميزانية باكستان المتزعزعة.

بمعنى آخر، فإن "اتفاقية مكة"، تعكس قناعة متزايدة بأن الشرق الاوسط لم يعد - او ربما لا يجب ان يكون - تحت حصرية اميركية امنيا وعسكريا. فالبحث عن بدائل، أو تفاهمات، قد يكون ضروريا خصوصا أن وثيقة الامن القومي الاميركية التي اعلنتها ادارة ترامب، تتضمن توجها لتخفيف عبء المسؤوليات العسكرية عن كاهل واشنطن، ونقله الى الشركاء الاقليميين حول العالم، سواء كان ذلك في الشرق الاوسط، او آسيا أو اوروبا، على أن تركز الولايات المتحدة على فضائها الخاص الذي يركز على نصف الكرة الغربية.

لا يعني ذلك بالضرورة ان الدول الثلاث تتحرك بناء على فكرة ان الولايات المتحدة خرجت من المنطقة، لكنها لا تستبعد ايضا فكرة ان ترامب، بعدما واجه من معضلات وتحديات في "حربي ايران"، قد يكون اكثر ميلا للتسوية مع طهران، ومن المستحسن عندها ان تكون للرياض خيارات دفاعية بديلة أو موازية.

تظهر التصريحات التالية بعض اوجه "اتفاقية مكة". يقول وزير الخارجية التركية حقان فيدان مثلا ان الاتفاقية "تماثل فنيا المادة 5 من ميثاق حلف الناتو الخاصة بالدفاع الجماعي"، مشيرا الى انه ستكون هناك امانة عامة ولجنة وزارية على ◄

نظام عادل؟

قال نائب الرئيس التركي جودت يلماظ ان "اتفاقية مكة" لا تستهدف اي دولة، وهي تعمل على تعزيز مفهوم الامن الجماعي، والردع، والتعاون في مجال الصناعات الدفاعية، والاستقرار الاقليمي، مضيفا انه في ظل بيئة تشهد تراجعا في المؤسسات والقواعد العالمية، يبرز التعاون الاقليمي بقوة، وان الاتفاق يُشكل ارضية لنظام عالمي "اكثر عدلا في المستقبل".

غرار حلف الناتو. لكن فيدان يلفت ايضا الى ان الاتفاقية لا تستهدف ايران ولم تحدد تهديدا مشتركا، وما من احد يمثل هدفا ما دام لا يهاجم الدول الاعضاء، ويشير ايضا الى ان مصر قد تنضم الى الاتفاقية بمجرد تسوية بعض المسائل الفنية.

تعكس الاتفاقية جانبا من رؤية تركيا للمنطقة حيث يقول فيدان انها تعتبر الخطوة الاكثر اهمية لانها ستجلب الاستقرار الدائم إلى هذه المنطقة التي ارتبط اسمها بعدم الاستقرار خلال الـ100 عام الماضية منذ انسحاب الدولة العثمانية منها. ومع ذلك، لفت الى ان السعودية وباكستان وتركيا ليست دولا توسعية، وان "رؤية رئيس جمهوريتنا اردوغان تتمثل في الا تقتصر على الدول الثلاث، بل ان نتوسع وان تضم اذا لزم الامر جميع الدول تحت سقفها".

لكن وزير الدفاع الباكستاني خواجة اصف اعتبر ان "الارهاب" يمثل تهديدا رئيسيا للدول الثلاث، وتابع قائلا ان "انشطة الحوثيين تشكل ايضا تهديدا للمملكة السعودية". من جهته، يقول وزير الدفاع السعودي الامير خالد بن سلمان ان الاتفاقية ترسخ "اطارا لشراكة دفاعية طويلة المدى، تعزز الردع والتنسيق والتكامل بين بلداننا الشقيقة، وتسهم في دعم امن واستقرار المنطقة والعالم". بينما يقول وزير الخارجية السعودي الامير فيصل بن فرحان ان الاتفاقية محطة مهمة في مسيرة التعاون الدفاعي وتوحيد الجهود في مواجهة التهديدات التي تمس أمن المنطقة.

لم يحدد الوزير السعودي اي تهديدات. لكن وكيل وزارة الخارجية السعودية للديبلوماسية العامة السفير رائد قرملي تحدث عن تكامل القدرات الدفاعية للدول الثلاث، لكنه لفت ايضا الى انها لا تمثل توجها نحو انشاء محور عسكري أو تكتل طائفي او مذهبي، كما انها لا ترتبط بمساع نووية أو بسباق للتسلح، وانما تستهدف بناء قدرات دفاعية ذاتية ومستدامة للدول المشاركة، وان الاتفاقية ليست على حساب علاقات المملكة الاستراتيجية والقوية خليجيا وعربيا ودوليا، وليست تهديدا لأمن أي دولة في المنطقة ولا تصعيدا في التوتر بين أي دولتين.

حتى الآن، لا تظهر اسرائيل "رسميا" الكثير من انطباعاتها عن "اتفاقية مكة"، لكن التقديرات في إسرائيل ان هذا التحالف ليس في وجهها، وانما في وجه ايران. لكن معارضين لنتنياهو وجهوا له انتقادات لأن المنطقة كانت حتى وقت قريب على وشك تشكيل تحالف يضم اسرائيل الى ما تسميه "دول الاعتدال" في المنطقة، فاذا بالامور تنتج تحالفا ثلاثيا اقليميا، اسرائيل ليست داخله، بل ربما يتعارض مع مصالحها.

في انتظار ما ستكشفه الايام، هناك اسئلة بلا اجوبة تتعلق بأن تقف "اتفاقية مكة" من هذه الجوانب: تركيا ترتبط بعلاقات مع اسرائيل، لكن التوتر بينهما قائم. الاسرائيليون تحدثوا علانية عن ضرورة مواجهة النفوذ التركي في المنطقة وسوريا. تركيا دخلت في نزاعات عسكرية عدة خلال السنوات الماضية. السعودية في حالة توتر خطير وان مضبوط، مع ايران الآن. السعودية ايضا في حالة حرب معلنة مع انصار الله الحوثيين حاليا. باكستان في حالة عداء طويل مع الهند، وخاضت معها حربا قصيرة مؤخرا. الهند في تحالف قوي مع اسرائيل التي تعاديها باكستان. كذلك هناك توتر قائم حاليا بين الرياض وبغداد بعد الغارات السعودية على العراق. والاهم، أن حرب ترامب - نتنياهو ضد ايران لم تنته حتى الان... فإلى أين يمكن ان يذهب التحالف الثلاثي الجديد؟

عن تركيا

يقول الدكتور عمر الرداد، الخبير العسكري والاستراتيجي والمحلل السياسي، لقناة "فرانس24"، ان السعودية هي المستفيد الاول من هذا التحالف. لكنه يقول ايضا ان تركيا تسعى لتركيز نفسها كقوة إقليمية خصوصا في ظل الخسارات التي تتكبدها ايران وحلفاؤها. كما تسعى الى المشاركة في حلف اقليمي يكون بعيدا من الضغوط والمساومات الاوروبية والاميركية ايضا. اضافة إلى ذلك، تتمتع تركيا بعلاقات كثيرة مع دول الخليج، مما يمكنها من توسيع نفوذها في المنطقة. اما اسلام اباد، فأعتقد أنها ستستفيد من هذا التحالف عبر ضمان الدعم الاقتصادي السعودي وتوسيع دور الجيش الباكستاني واثبات نفوذه، على الرغم من ان باكستان باتت دولة اقليمية لها كلمتها.